الدراسات البينية في اللغة ودورها في إثراء العلوم الشرعية.

أ.د. مبروك بهي الدين رمضان الدعدر

توطئة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

إنَّ التكامل المعرفي بين العلوم أحد أهم عوامل التطور المعرفي لفتح آفاق جديدة للبحث العلمي، والدراسات البينية واحدة من الطرائق المهمة التي يمكن استثمارها لحل كثير من المشكلات العصرية، كما أنَّ مجال الدراسات البينية في اللغة العربية مجال واسع، لا يقتصر على التكامل بين علوم اللغة وحسب، بل يجاوزها إلى التكامل مع مختلف العلوم الإنسانية والطبيعية، مما يسهم في تضافرَ العلوم، وتلاقحَها معرفيًا، وجعل العلوم أكثر تمددًا، وتطورًا، وانفتاحًا، ولما تمثله الدراسات البينية من أهمية بالغة في المنهجيات والأنظمة العلمية المعاصرة، يمكنّها أن تحقيق إسهامًا معرفيًّا مرموقًا في تقدم العلوم الإنسانية في ظرفها التاريخي المعاصر.

وتتعزز أهمية الدراسات البينية بين اللغة العربية ومختلف العلوم الشرعية كواحدة من أبرز طرائق التكامل بين تلك العلوم، إذ نجد التكامل بين تخصصات الفقه وأصول الفقه، وتكاملهما معًا مع علم مقاصد الشريعة، وارتباطها الوثيق بعلوم القرآن والتفسير، وارتباطهم جميعًا بمختلف العلوم الطبيعية الأخرى في كثير من التداخلات، كالارتباط بين الفقه وعلوم الرياضيات، وبين علم المقاصد وفروع التكنولجيا.. وهكذا، وهذه العلوم مترابطة عندما نحسن استثمارها على الوجه الأمثل تخرج لنا دراسات بينية يتعاون من خلالها المختصون مما يساعد على حل كثير من المشكلات المتجددة، كما تسهم في تعزيز الاجتهاد الجماعي لخدمة الإنسانية.

ونسعى في هذه المداخلة: لبيان أهمية وضرورة الدراسات البينية في تعزيز الثقافة الإسلامية والارتقاء بها لمواكبة التطور المعرفي والتكنولوجي في البحث المعرفي الشامل، والاستفادة من العلماء في إثراء تنوع المعرفة والابتعاد عن أحادية التركيز في التخصص الواحد دون الاستفادة من باقي التخصصات في مختلف العلوم في الدراسات العربية والعلوم الشرعية.

ولنجيب على عدد من الأسئلة، منها: هل الدراسات البينية مجال أم منهج أو أداة معرفية تنساح في مختلف العلوم؟ ما هو أثر الدراساتِ البينيةَ في الدراسات والأنشطة العلميةِ والثقافيةِ؟ وكيف يمكن تحقيق ذلك في ظل تنوع المعرفة والعلوم في واقعنا الراهن؟

لنتوصل إلى نتائج علمية وتطبيقية في مجال الدراسات البينية بين علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية إلى:

- ✓ ترسيخ الرؤية البينية في الفضاء الثقافي العام؛ ودورها في الانفتاح الفكري والحوار العقلاني، والتواصل مع الآخر.
- ✓ استثمار العلوم الإسلامية لتاريخها الممتد؛ وتفاعلها مع علوم العربية وغيرها من المعارف.
- ✓ تأكيد تعميق الصلات بين القضايا المتجددة في البحث العلمي، والعمل بروح الفريق.

ونعتزم أن تتناول المداخلة العناصر الآتية:

مقدمة: تتناول أهمية الموضوع، ومشكلته، وأهدافه، وأسئلته، وأبرز نتائجه.

المبحث الأول: الدراسات البينية وأهميتها المعرفية في إثراء الثقافة.

المطلب الأول: أهمية الدراسة البينية في اللغة العربية

المطلب الثاني: الدور المعرفي للعلاقة البينية بين اللغة العربية والعلوم الأخرى.

المبحث الثاني: الدراسات البينة في اللغة العربية والعلوم الشرعية.

المطلب الأول: دور الدراسات البينية في إثراء العلوم الشرعية.

المطلب الثاني: أثر الدراسات البينية في المستجدات المعاصرة.

خاتمة: وتشمل أهم نتائج وتوصيات البحث.

فهرس المراجع.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول: الدراسات البينية وأهميتها المعرفية في إثراء الثقافة.

لقد كانت السمة الغالبة للبحث العلمي على مدى عقود سابقة، وحتى وقت قريب تقوم على التخصص الدقيق، والاعتماد على التنظيم التخصصي للمعرفة في تصميم البرامج الأكاديمية كمنصات لتوليد المعارف الجديدة ونشرها، ومع اقتران تطور التخصصات بنمو المعارف في مجالات البحث العلمي الذي ارتبط بدوره بتطور المجتمع، تبلورت العلوم بمجموعاتها التخصصية الأساسية والتطبيقية والإنسانية والاجتماعية، واكتسب العلم نتيجة الأخذ بهذا المنهج التخصصي تركيز القدرات العقلية للعلماء ضمن مجال معرفي محدد والبعد عن خطر السطحية والغموض، إلى جانب مساعدة العلماء على تعميق أبحاثهم عبر الاهتمام بأدق تفاصيلها.

إلا أن العمل بهذا المنهج قد أفرز لدى البعض ميلا إلى الانغلاق داخل جزئيات علمية متخصصة، كما صرف آخرين عن البحث في علاقة تخصصهم بالتخصصات الأخرى، (كما أنه في قد يكون أحد أسباب بعض الإشكالات الملموسة في كثير من المجتمعات والمتعلقة بسوق العمل، سواءً بالنسبة للخريجين الباحثين عن العمل في عصر تكاملت فيه المعارف وتعددت المهارات، أو بالنسبة لمنشآت القطاع الخاص التي تعاني من وحدة التخصص لدى الخريجين المتقدمين للعمل فيها)[1].

إلا أنه مع الانفتاح المعلوماتي وتسارع التقنية وتداخل العلوم المختلفة أصبح من الأهمية التكامل بين المتخصصات، فضلاً عن تداخلات المجالات العلمية والإنسانية والتكامل بينهما، ولقد (حظيت العلاقات البينية بين التخصصات بأهمية ملحوظة في المعرفة الإنسانية الحديثة نظرًا للتطور المتسارع في ميادين المعرفة ومجالات دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرائدة، أو العملية التي يتم بموجبها الإجابة على بعض الأسئلة أو حل بعض المشاكل أو معالجة موضوع واسع جداً أو معقد جداً يصعب التعامل معه بشكل كاف عن طريق نظام أو تخصص واحد)[2]، ومما زاد في هذا التوجه ذلك التعقيد الذي طرأ على قضايا العصر الاجتماعية والبيئية والاقتصادية والفلسفية، والتي استحال فهمها من منظور معرفي واحد.

فقد أصبح التداخل والتلاقح والتمازج بين التخصصات المختلفة سمة العصر المعرفي، وما لبثت معظم الجامعات والمراكز البحثية في العالم أن تفاعلت معها مما دفع القائمين على البحث العلمي إلى إعادة النظر بغرض استيعاب هذه التكامل، والعمل وفق تخصصات متزاوجة بغرض تأهيل علماء المستقبل ليكونوا أكثر شمولية وتعاون، كما أقدمت المؤسسات البحثية على استحداث برامج رائدة تستوعب بشكل أفضل ظاهرة تزاوج التخصصات تحت مسمى "الدراسات البينية" (interdisciplinary) التي تمتد في أكثر من قسم علمي وأحياناً في أكثر من مكان بحثي.

---

(1) انظر: نجيب عبد الواحد، المنهج التخصصي للعلوم تزاوج الاختصاصات، ثراء معرفي ومهني، https://najibabdulwahed.com6، ص 13.

(2) انظر: كالين ووليم ووليم، 2001م، ص2.

المطلب الأول: أهمية الدراسة البينية في اللغة العربية.

إن إدراك أهمية العلاقات البينية بين العلوم المختلفة واحدة من أهم عوامل نجاح البحث العلمي المعاصر، فالحياة في مختلف جوانبها تتشكل على نحو أكثر سرعة، كما أن تاريخ العلوم قديمًا يزخر بصور من التداخل وخاصة في مجالات اللغة العربية، كما أن الاستفادة المتبادلة بين العلوم تدعو إلي إعادة قراءتها إذا كنا تسعي إلى علاقات بينية بناءة، ومقاربة المفاهيم بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية كمفاهيم النسق، والتباين، والتكامل، والتفاعل، التي ظهرت جلية عبر دراسات بينية اشترك فيها أكثر من نظام علمي، مما يؤكد الحاجة الماسة لاستمرار وتفاعل هذا التكامل بين مختلف التخصصات، والذي محورة الرئيس هو "اللغة".

ذلك أن اللغة تمثل ركيزة الاتصال، وأساس التواصل والتفاهم بين بني البشر على اختلاف مشاربهم وتخصصاتهم، وأن التطور التقني والتكنولوجي، والتسارع المعرفي يفرض حتمية تعاضد العلوم وتعاونها، بغية تحقيق الأهداف المتوخاة، وحل المشاكل المختلفة التي قد تواجه الباحثين، وأن اللغة العربية تمثل أهم عوامل التقاطع مع المعارف الأخرى سواء الإنسانية أو الطبيعية.

واللغة في كل حالاتها التواصلية هي الفضاء الذي انطلقت منه الدراسات البينية، لأنها لم تعد أداة توصيل ليعطي معنى أو للتعبير عن فهمه الذاتي للأشياء وحسب، إنها تعبر عن المعنوية القائمة بالفعل بين الأشياء.

وتعد الدراسات الأدبية أحد أبرز المجالات المعرفية البينية التي ساهمت في فتح الباب على التطور، وتقديم الجديد، وانفتاحها على كثير من الحقول المعرفية الإنسانية والعلوم التطبيقية، ومعالجة الظواهر العادية والشاذة، لأكبر دليل على ضرورة الانفتاح على العلوم المختلفة مجالات تكامل، والدراسات البينية لكونها تستحضر الحقول المعرفية للنظر في التباينات التي تمكن الدارس من تحديد قيم الوحدات اللغوية في أي مستوى تحليلي بغرض الاغتراف من هذه الحقول المعرفية في عصر بات فيه مفهوم العولمة حقيقة تطبيقية ووقائع ميدانية، لا تستجيب فيها إلا بكسر الانغلاق وضحد الإقصاء.

لا شك أن حاجة الدراسات المعاصرة إلى البينية، تعبر عن رغبة الإنسان في تجاوز اليقينيات القاتلة والحقائق الجزئية التي تؤدي إلى تكلّس الفكر، وتأليه القناعات الشخصية

ولدلالة على أهمية البينية في اللغة، ما تمثله الثقافة العربية وما كان من اختزالها في الظاهرة الشعرية، إلا أن المتأمل في تلك الثقافة الشعرية يلحظ أنها بنيت على عدة عمليات مركبة ومتداخلة من إدراك واستدلال وتشبيهات وتمثيلات نفسية واجتماعية وخلقية ومعرفية، ولذلك قالوا إن الشعر: (صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرفه بصفة ولا وزن دون معاينته ممن يبصره)[1].

(1) انظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، د. ت، ج ١، ص ٥–٧.

وتشكل اللغة الوعاء البيني في خصائصها التكوينية، فاللغة تشكل رباطًا اجتماعيًا، ونفسيًا، كما أنها تمثل قالب الذاكرة، وبواسطة اللغة يتم تفسير الظواهر الإنسانية كالتفكير، وحل المشكلات، واتخاذ القرارات ونقل المحتوى الفكري إلى معاني، لهذا تمتد العلاقة بين اللغة والبينية في التكوين والتركيب والأداء[1].

إن البينية في اللغة مؤصلة وممتدة، فنجد ارتباط علوم اللغة كعلم البلاغة بعلم النحو والصرف، وعلم الأصوات، وعلم الدلالة، وعلم العَروض، فضلًا عن ارتباط علوم اللغة بالثقافة، والتاريخ، وعلم المنطق وعلوم الفلسفة... إلخ، والمتتبع للمؤلفات اللغوية تظهر له بينية اللغة بجلاء.

ولم تقتصر البينية في اللغة على تداخل علومها، بل كذلك في تداخل أساليبها، فنلحظ العلاقات البينية في الأساليب البلاغية كأساليب علم البيان، فنجد البينية في بِنْيَةِ التشبيه وكذلك الاستعارة، ونجدها في المجاز المرسل، وفي الكنانية، وفي علم المعاني نجد البينية في ثنائيات الحذف والذكر، التعريف والتنكير، التقديم والتأخير، والبينية في الخبر والإنشاء، والبينية في بنية القصر، والبينية في بنية الفصل والوصل، والبينية في بنية الإيجاز والإطناب والمساواة، وفي علم البديع نجد البينية ممثلة في الثنائيات أو التكرار.

وإن كانت البينة في مدلولها العام تعني ربط العلاقات بين التخصصات المتباعدة، فبينية اللغة تربط بين المعاني الوضعية والطارئة والمعاني السطحية والعميقة، وتتمثل بينية اللغة بوضوح في العلاقة بين ثنائيات علم المعاني، كالحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والخبر والإنشاء، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، كما تكون أكثر وضوحاً في العلاقة بين النحو والصرف والعروض، وغيرها، مما يعني إمكانية تدخل العلاقة البينية في كثير من السياقات، كما في علم البديع، مثل: الالتفات، والتجريد، والهزل الذي يُرادُ به الجد، وتجاهل العارف، والتورية، والطباق وغيرها، وإجمالًا فإن كل علمٍ من علوم اللغة هو في جوهره علم بيني باستفاضة لمن يدرك وظيفة اللغة ومهماتها.

المطلب الثاني: الدور المعرفي للعلاقة البينية بين اللغة العربية والعلوم الأخرى.

لقد اعتمدت المعرفة الإنسانيّة لفترات طويلة على ما يعرف بالعلوم الحقيقة القائمة على النزعة التخصّصية كرافد رئيس للعلم والمعرفة والتطوير، ولا يمكن بحال إنكار الفوائد الكثيرة التي اكتسبها العلم والعلماء نتيجة للأخذ بمبدأ التخصص، حيث أن التركيز على مجال معرفي محدد يساعد العلماء على تعميق أبحاثهم والاهتمام بالجزئيات الدقيقة، كما ساهم في إبعاد خطر السطحية وشبح الغموض.

إلا أنه في ظل التطور المتسارع اليوم حيث تعقّدت المعرفة وتشابكت وتنوعت، وتأكدت حاجة المختصين في المجالات العلمية المختلفة للمساعدة والمساندة للوصول إلى نتائج أكثر إيجابية وفاعلية، نظرًا لعدم قدرة كلّ مختص منفرد أو فريق مختص وحده على الإجابة عن كل الأسئلة المتعلقة بموضوع

(1) انظر: روبرت سولسو، علم النفس المعرفي، ترجمة: محمد الصبوة، مصطفى كامل، محمد الدق، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠م، ص٤٨٦.

واحد متصل بعدد من التخصّصات معًا أو بمجموعةٍ منها، فكانت المعرفة البينيّة أحد أبرز الحلول، التي تجمع عدّة تخصّصات معًا، وتعمل على توظيفها جميعًا في فريق واحد.

إن البَيْنِيَّة في حقيقتها تمثل الحركةَ التفاعليةَ التي تَعْقِدُ العلاقة التكاملية بين الأطراف المتباعدة، وتطوي المسافات البَيْنِيَّة بينها؛ وإن كانت العلاقة قديمًا قائمة بين العالم والمتعلّم على تلاقح الأفكار والتبادل المعرفي والاتصال الفاعل، فإن الحاجة ماسة إلى تعدد التخصصات، ونعني به أخذا المعرفة من كل طرف ودقة العلم في التخصص، ليكون مفتاحًا لنهضة تواكب التقدم المعاصر الحديث في الفكر والمعرفة والانفتاح على العلوم، وامتلاك التقنيات المعاصرة، حيث عانى الدارسون من فصل العلوم مما أدى إلى التزام التخصص الأحادي التركيز بحيث يصبح الباحث قليل الاحتكاك بالآداب والعلوم الأخرى التي يمكنه الاستفادة منها والإفادة لها.

إن البينية تعني إحياء خصيصة التفاعل بين المعارف في جميع مجالات المعرفة، لأن الحقيقة أن العلوم نشأت بتلاقح بين مجالاتها كما سبق الإشارة إلى علوم اللغة، وكما هو فاعل بين علم الكيمياء الحيوية، والفيزياء الحيوية، والرياضيات الحيوية، والجراحة الاتصالية، وغيرها من علوم الفلسفة والتاريخ ومجالات الثقافة المتعددة، حتى كذلك في علم الأرض والجغرافيا على مر العصور في المجال البشري وجغرافيّة المجال، وما ظهر منها من مستحدثات علمية وقوانينَ جديدةً، كالجغرافيا البشرية، والتطبيقية، والكمية، والطبيعية، والتعليمية، وغيرها.

إن الانفتاح في مجالات المعرفة والبحث العلمي يعد أمرًا ضروريًا وحيويًا للتغلب على كثير من المصاعب التي تواجهها كثير من التخصصات ولم تجد حلاً لها إلا من خارج التخصص، وكثيرة هي المفاهيم والمناهج والنظريات العابرة للتخصصات التي تم توظيفها في أكثر من تخصص وإن كان تخصص معين هو الذي أفرزها.

فضلًا عن الميادين البحثية التي تفرض طبيعتها على أصحابها الانفتاح على التخصصات الأخرى والبحث عن إيجاد تكامل أو تبادل معرفي معها، مثل تخصصات علم النفس وعلم الاجتماع وعلوم اللغة وعلوم الشريعة، والرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء الجزئية والأنثروبولوجيا، كانت قد وليدة تداخل عدد من التخصصات، وما نشأ منها كعلوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي، حتى أصبح اعتبار العمل بمبدأ التخصص اليوم غير مبرر أو مقبول إلا إذا سعى إلى الانفتاح وتعامل مع العلاقات العضوية بينه وبين التخصصات الأخرى.

إن تطور المعرفة والعلوم أبرز مناطق عدة تتقاطع وتتداخل فيها التخصصات المختلفة، مما أنتج عددًا كبيرًا من المعارف والعلوم الجديدة والتطورات الاجتماعية والمهنية وأصبحت (البينية) إحدى سمات العصر نتج عنها تغير ملحوظ في العملية التعليمية فظهرت الأكاديميات العلمية، كما أنشئت كليات وجامعات كثيرة تجمع بين تجمع بين العلوم التطبيقية وبين العلوم الإنسانية

ونرى كذلك أن تلك السمة الجديدة للمعارف والعلوم قد فرضت نفسها علة أنظمة الجامعات العالمية، وإعادة النظر في خططها الدراسية بهدف تضمينها، إلى جانب المواد التخصصية عددًا من المواد المساندة خارج التخصص الدقيق إعمالاً لمنهجية التخصصات المتداخلة وممارسة الانفتاح على مجالات المعرفة المتنوعة.

لقد أصبحت الدراسات البينية نشاطًا معرفيًا يسهم بفاعلية في تقديم الحلول والأجوبة المقنعة على كثير من التساؤلات العلمية، وقدمت أنموذجًا معرفيًا للتعدد التخصصي لتحقق معرفة جديدة تقوم على التداخل والتشابك في مختلف ميادين المعرفة.

إن التطور المعرفي فرض الالتفات إلى أهمية التكامل الحاصل بين العلوم اللغوية والعلوم الأخرى على المستوى النظري والاصطلاحي والتصور والنمذجة مما يعكس مبدأ التعاون بين هذه العلوم من خلال الإقراض والاقتراض، ومستويات التكامل، ويعزز البحث عن الابتكارات والاقتراحات العلمية الجديدة في مجالات التعاون بين العلوم اللغوية والإسلامية والإنسانية، والعلوم التطبيقية الأخرى، لتؤكد تكاملية العلوم على أهمية عمومية المعرفة وتواصلها بين المجالات المختلفة وتعالج كثيرًا من المشكلات الناتجة عن خصوصية التخصص الفردي، وتعمق الفكر الشمولي للمفاهيم المعاصرة، وتجسير العلاقة بين العلوم العربية والاجتماعية والعلوم الشرعية، والعلوم التطبيقية.

لذلك يمكن القول بأن الدراسات البينية تؤثر في المعرفة من خلال (نضج العلوم واحتراقها)، ونعني بذلك انصهار العلوم والمعارف والابتعاد عن الفردية إلا ما كان له خصوصية لا تنفك عنه، وتعزيز التكاملية بين العلوم يؤدي إلى تعزيز المعرفة وشمولها، من خلال نضج العلم واحتراقه، يقول الحلبي: (المراد بنضج العلم تقرُّر قواعده، وتفريع فروعها، وتوضيح مسائله، والمراد باحتراقه بلوغه النهاية في ذلك) [1]، كما أن الدراسات البينية تتصف بالانفتاح على موضوعات جديدة لم تكن تحظى بنفس الاهتمام من الباحثين في الطرائق التخصصية؛ ومنحت اهتمامًا كبيرًا لموضوعات وقضايا كانت في منطقة الظل أو الاستبعاد في الدراسات التقليدية للثقافة.

(1) انظر: ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت 1252هـ) حاشية ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، الناشر: دار الفكر–بيروت الطبعة: الثانية، 1412هـ/1992م، 162/1.

المبحث الثاني: الدراسات البينة في اللغة العربية والعلوم الشرعية.

المطلب الأول: دور الدراسات البينية في إثراء العلوم الشرعية.

إن العلوم الإسلامية رغم اشتراكها في المصدر، –ونعني به الكتاب والسنة النبوية –إلا أنها تتفاوت في النشأة كعلوم مستقلة بذاتها، فقد نشأت علوم التفسير والحديث والفقه والنحو مبكرًا، أما علوم كعلم القواعد الفقهية وعلم المقاصد، فقد تأخر لزمن، وبعضها نشأ حديثًا كعلم مستقل مثل علم التربية، على الرغم من تداول هذه العلوم تأليفًا وتمحيصًا على أشكال مختلفة تضمينية منذ العصور الأولى للإسلام.

لذا كانت الدراسات في العلوم الشرعية توجّه نحو التخصّص، وفرز الموضوعات المعرفيّة على حدة، كي يتخصّص الباحثون فيها، ولا شك أن هذا ضاعف من النموّ المعرفي فيها عامّة، لكن ثمّة موضوعات تحتاج لعقول تدرك اتصال هذه الموضوعات بعدّة تخصّصات، للإجابة على التساؤلات المعاصرة من حيث الحكم بعلمية هذه العلوم، والتعبير عن وظيفتها بدقة، والانفصال بين التنظير والتطبيق، وإعادة النظر في مناهج التأليف ومناهج البحث الخاصة بها، مما يؤكد الحاجة الماسة إلى الجهود المتخصّصة، وفي الوقت عينه بحاجة إلى العقل الذي يستطيع ربط معطيات هذه التخصّصات للإجابة عن تساؤلات تتصل بها جميعًا، وعملية الربط والتجسير هذه تحتاج لوعي تكاملي بين هذه العلوم، وهو الذي تقوم عليه المعرفة البينيّة، تلك المعرفة التي تقع بين العلوم.

إن ما يؤكد واقعية هذه التساؤلات المعرفية في الدراسات البينية في العلوم الإسلامية بشكل عام هو الحاجة إلى النظر المتكرر لتراثنا الحضاري، والإفادة من مشاركات الأوائل رغم إيجازها، للإفادة من البناءات المعرفية في العلوم الأخرى المساعدة للعلوم الإسلامية التي تشترك في المصدر، وتتفق معها في الأهداف، وتسلك معها نفس المنهج، وتتداخل معها في المفاهيم؛ لأن حقيقتها التعاون والتكامل فيما بينها، مما يسهم في: (تقعيد العلوم الشرعية المتصلة بالعلوم الأخرى، وإثبات علميّتها، والبرهنة لها، وإثبات المقدرة العلمية في كل موضوعات هذا العلوم)[1].

إن استثمار الدراسات البينية في مجالات العلوم الشرعية يتطلب مشاركة مجالات اللغات والآداب، والتاريخ، وعلوم الاجتماع، والعلاقة بينهما سبق الإشارة إليها، وفي علوم الرياضيات تتأكد العلاقة والتكاملية فيما يتعلق ببعض الفروض كالمواريث والزكاة وغيرها، كما أن العلوم الشرعية بحاجة لعلوم الفلك لمعرفة منازل القمر، كما أنها بحاجة لعلم الأجنة والصفات الوراثية، وهكذا.

إن تكاملية العلوم وتداخلها لا يعني بالطبع اضمحلال أو ذوبان التخصُّصات الأكاديمية الأساسية فهي حجر زاوية تستند إليه البيئة الأكاديمية في تسهيل تشكيل المجموعات الأكاديمية المبدعة وضمان

(1) انظر: علي، حنان عبد العزيز عبد القوي، تصور مقترح لتطوير البحث العلمي في التربية الإسلامية في ضوء مدخل البحوث البينية، جامعة عين شمس،2011م، ص35.

الصرامة الفكرية، فالبرامج البينية لن تتمكَّن من تأدية مهامها بغياب أكاديميين "مرجعيين" متمكِّنين من تخصصاتهم، إلا أن أسلوب الفرق البحثية البينية يمنح فرصًا أكبر، ويهيئ الأرضية للابتكار، وتمازج الأفكار البحثية وتلاقحها، مما يؤدي إلى نتائج مثلى ويفتح آفاقًا جديدة لبحوث مستقبلية في كافة المجالات العلمية، كما أن العلوم الشرعية بشكل عام لم تكن غائبة عن هذا التوجه العلمي في الدراسات الإسلامية المعاصرة.

فإذا كانت غاية العلوم وأهدافها تتحقق بمدى ارتباطها بالواقع ومعالجته وصلاحه، فإن المتأمل في القرآن الكريم يدرك بوضوح الاهتمام المتجذر بالواقع؛ ولهذا (فإن العلاقة بين القرآن الكريم والعلوم الأخرى علاقة لا يمكن إغفالها وآصرة لا يمكن تجاوزها، إذ أن القرآن الكريم لم يغادر مصلحة دنيوية ولا أخروية إلا نبه عليها أو عبر عنها أو أشار إليها، ولا تخفى علاقة العلوم بمصالح الإنسان ومنافعه، وإن كان لربط القرآن عند المسلمين – قديمًا وحديثًا – اتجاهات تباينت مناهجها واختلفت رؤاها، وتعددت نظراتها لكل من العلم والقرآن)[1]، إلا أنه في المجمل العام يجمع المسلمون على قوة العلاقة بين القرآن العظيم والعلوم الأخرى المختلفة.

ولقد ذهب كثير من العلماء والباحثين إلى تلمس جزئيات العلوم وتفاصيلها داخل القرآن؛ واستدلوا في ذلك بقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ الأنعام 38، ومنه قول ابن عباس رضي الله عنه؛ (لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في القرآن) [2]، كما ذهب ابن رشد إلى تلمس علاقة القرآن بالفلسفة[3]، وذهب الجوهري في تفسير الجواهر إلى أن سبعمائة آية من كتاب الله قد اشتملت على عجائب الدنيا كلها؛ وأن آيات محدودة منه قد احتلت فرعاً كاملاً من علم الرياضيات، كما أشار إلى مسائل منوعة في علوم الطب والكيمياء والجيولوجيا، وذهب إلى أنها علوم مكنونة في النص القرآني تنتظر من يرفع الحجب عنها، مشيرًا إلى أنه ما من علم من العلوم المعاصرة إلا وقد وجد في القرآن[4].

ولا شك أن القرآن قد ذكر كل شيء سواء على الجملة أو التفصيل أو على مستوى المقصد؛ يقول عبد الله بن مسعود: (قد بُيِّن لنا في هذا القرآن كلّ علم وكلّ شيء) [5]، ويقول الإمام القرطبي: (إن دلالة

---

(1) انظر: عبد العزيز، جمال الدين، علاقة العلوم بالقرآن، ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net/tafsir18514، ص 3.

(2) انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، 1415هـ، 98/14.

(3) انظر: ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق دكتور محمد عمارة ط3/ دار المعارف د.ت. مقال 1، وانظر: الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، (ت 790هـ)، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م، 146/2.

(4) انظر: طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1350هـ، 93/1، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، التفسير والمفسرون، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط/ مؤسسة الرسالة (د.ت)، 7/5.

(5) انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، 1420هـ/1999م، 583/2.

القرآن على كل العلوم دلالة مبيّنة مشروحة أو مجملة) [1]، ويقول: (صدق خبر الله بأنه ما فرّط في الكتاب من شيء إلا ذكره إما تفصيلاً وإما تأصيلاً) [2]، ويقول ابن كثير: (إن القرآن مشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق وعلم ما سيأتي وكل حلال وحرام؛ وما الناس إلا محتاجون إليه في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم) [3]، ولكن ذلك ليس مسوغًا للبحث عن كل التفاصيل والجزئيات لكل العلوم داخل القرآن؛ وإنما يرتكز ذلك على كيفية تعبير القرآن عن المسألة المطلوبة فإن ذكر الجزئيات بحثنا في الجزئيات وإن ذكر الكليات بحثنا في الكليات وإن ذكر المقاصد بحثنا في المقاصد.

أما اعتراض الإمام الشاطبي وقوله: (إن هذه الشريعة المباركة شريعة أمية لم تأت إلا بما يعرفه العرب من العلوم ولم تخرج عما ألفوه)[4]، وما ذهب إليه الإمام الذهبي: (إلى أن هذه العلوم لو ذكرها القرآن فخاطب بها العرب لخرج إلى عدم مراعاة المخاطب؛ لأن العرب كانوا يجهلون هذه المعاني)[5]، فقد رد عليه الإمامان أبو حامد الغزالي قديمًا والإمام محمد الطاهر ابن عاشور حديثاً، بأن (القرآن اشتمل على عمارة منازل الطريق "الدنيا" وتكمن عمارة الدنيا عنده في حفظ النفس والنسل والمال وأسباب المعيشة والديانة وضبط السياسات الدينية) [6]، وأكد ابن عاشور بأن: (الأمية صفة للعرب، وليس للشريعة أو القرآن، ولم تعد العرب أمة أمية كما كانت بعد نزول القرآن؛ بل انتقل بهم القرآن من حال إلى حال؛ قال تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾ سورة هود49، وإن القرآن معجزة باقية؛ فلا بد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلوم في الأمة) [7].

ولقد اشتمل القرآن على علوم كثيرة، اكتشف العلماء منها الكثير، وما زال العلم يكتشف الكثير من كنوز القرآن العلمية، وما مؤتمرات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم إلى واحدة من الدلائل المعاصرة على الاكتشافات المتتالية لكثير من أصول العلوم والصنائع التي تتعلق بحياة الناس؛ ولم يكن هذا في زماننا المعاصر وحسب، بل كان عند كثير من علماء التفسير، كما ذهب إلى ذلك الإمام السيوطي[8]، والإمام القرطبي[9]، وكثير من المعاصرين[10].

---

(1) انظر: القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، ط/ دار عالم الكتب، الرياض، سنة 1423 هـ/ 2003م، 6/ 132.

(2) انظر: المرجع السابق، 128/6.

(3) انظر: ابن كثير، (مرجع سابق)، 218/4.

(4) انظر: الشاطبي، الموافقات، (مرجع سابق)، 25/2.

(5) انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، (مرجع سابق) 375/3، وانظر: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (المتوفى: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405هـ / 1985م، 147/6.

(6) انظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، جواهر القرآن، تحقيق الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت ط/2/ 1406 هـ/ 1986م، 10/ 12.

(7) انظر: عبد العزيز، جمال الدين، علاقة العلوم بالقرآن، ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net/tafsir18514، ص 9، ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، سنة 1997م، 45/1.

(8) انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون، (مرجع سابق)، 386/4، وانظر: الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (مرجع سابق)، 657/2.

(9) انظر: القرطبي، (مرجع سابق)، 196/2.

(10) انظر: الشعراوي، (مرجع سابق)، 17/ 10313.

ويرى الباحث: أن الدراسات البينية بين علوم الشريعة وعلى رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وما يعرف حديثًا بالإعجاز العلمي وارتباطه بالدراسات البينية بين كثير من العلوم يجب النظر إليها في إطار ضابطين هما: طبيعة العلوم التي يراد ربطها بالقرآن وطبيعة تعبير القرآن عن معطيات هذه العلوم، وذلك لفهم قوة العلاقة بين العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى في ظل الدراسات البينية.

لأن الحقيقة الساطعة أن القرآن العظيم مع قداسته وعصمته هو كذلك كتاب هداية وكتاب دلالة، وكثيرة هي العلوم التي تم استنباطها من القرآن مباشرة، ومنها ما تعلق القرآن بقضاياه تعلقًا شديدًا؛ لصلاحه لكل زمان ومكان، وأن أحكامه وإرشاداته تنزل على واقع الناس، وهذا الواقع فيه من الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية والتربوية والطبية وغيرها؛ ولهذا نجد الآن اللجان الشرعية في البنوك والشركات الاقتصادية وغيرها، كما نجد لجان الفقه والتفسير والحديث: تضم أطباء واقتصاديين وعلماء اجتماع وتربية وعلم نفس وغيرها، وهذا هو عين الدراسات البينية في الدراسات الإنسانية بشكل عام وفي الدراسات الإسلامية على وجه الخصوص.

•تكاملية العلاقة بين العلوم الشرعية وغيرها من العلوم الأخرى في الدراسات البينية:

تكمن العلاقة الوطيدة بين علوم الشريعة والدراسات البينية في أن الحقيقة المسلمة لدى علماء الدراسات الإسلامية أن الإنسان كلما كان أكثر معرفة بالعلوم كان فهمه للقرآن أحسن وأجود؛ ولهذا يقول الزركشي: (من كان حظه في العلوم أوفر كان نصيبه من علم القرآن أكثر)[1]، ويقول ابن حزم: (على من قصد التفقه في الدين أن يستعين على ذلك من سائر العلوم، وحاجته إليها في فهم كلام ربه تعالى وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم)[2]، جمع ابن عاشور عدد من العلاقات بين العلوم المختلفة والقرآن الكريم، منها العلوم المتضمنة كالفقه والتشريع والاعتقاد والتاريخ واللغة والبلاغة، وعلوم تبين الهيئة وخواص المخلوقات، وعلوم لها شواهد علمية كالطب وطبقات الأرض، وأخرى كالعروض والقوافي وغير ذلك[3].

- **الدراسات البينة في العلوم الإسلامية والعربية:**

إن المتأمل في الدراسات البينية المعاصرة بين العوم الشرعية والعربية ومختلف العلوم الأخرى يجد أنها تتكامل لإخراج نتائج أكثر دقة وشمولية، فكثيرة هي العلوم التي تضمنها القرآن وذكرت تفاصيلها فيه، ومنها علوم النحو والبلاغة، وعلم اللغة، وأصول الفقه، وقد نشأت هذه العلوم أصلاً لخدمة القرآن؛ فالنحو قد نشأ عندما تسرَّب اللحن إلى الناس عند قراءة القرآن.

---

(1) انظر: الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1/ 1376هـ/ 1957م، ص 272.

(2) انظر: القرطبي، الإحكام في أصول الأحكام، (مرجع سابق)، 693/5.

(3) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ، (مرجع سابق)، 46/45/1.

يرى الباحث أن العلوم على اختلافها ترتبط بالعلوم الشرعية من منطلق ارتباط العلم صراحة أو ضمنيًا بالقرآن الكريم، فإما أنها علوم تدور حول النص، أو أنها علوم تتعلق بالواقع.

إن العلاقة الارتباطية بين العلوم الشرعية والعلوم العربية والتطبيقية تكمن في العلاقة بين الواقع الكوني والواقع الاجتماعي والإنساني، فالواقع الكوني دقيق الانتظام والانضباط شديد التقيّد بالسنن والقوانين، لأن الإنسان لا دخل له فيه، وكل نظام لا دخل للإنسان فيه يظل منتظمًا ومنضبطًا.

لقد خلق الله تعالى الإنسان لا يعلم شيئًا من أمر هذا الكون، فقال تعالى: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الملك23، ولما كان الإنسان مهيأ لإدراك الواقع الكوني بصورة عامة فقد زوّده الله تعالى بوسائل الإدراك المعرفي، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ الملك 23، فكانت مادة القرآن الكريم هي الإنسان وتصوره واعتقاده وسلوكه وأعماله وروابطه؛ لتوجيه الإنسان وإرشاده، بالتفاصيل أحيانًا وبالإجمال أحيانًا وبالمقصد أحيانًا، فنجد الإشارة إلى تفاصيل العلوم الطبيعية وحقائق الكون ومشاهده وإن لم تكن مقصودة لذاتها؛ بل للعبرة والتنبيه على قدرة الله ودلائل وحدانيته، ومن ذلك: عندما سأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الأمور المتعلقة بالعلوم الطبيعية؛ فقالوا: (ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم لم يزل يكبر حتى يستدير) فحوّلهم الله تعالى إلى أمر آخر أكثر تعلقاً بالتكاليف والأحكام المطلوبة منهم؛ فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ البقرة189، ثم قال في السياق نفسه: (وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) البقرة189، [1] وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه أراد أبواب العلم، أي: اتوا هذا الأمر من بابه؛ فحوّل – بأسلوب الحكيم – الإجابة من العلم الطبيعي إلى العلم الشرعي ثم أمرهم بطلب العلم الطبيعي؛ إذ إن كل مطلوب من المطالب المهمة ينبغي أن يؤتى من بابه؛ وهذا يقتضي معرفة الأسباب والوسائل[2] .

كما نلحظ أن القرآن في الغالب يذكر الأمور الكلية والرئيسة، ومثاله ما رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سُئِل: (أفريضة الوضوء من القيء؟ قال: لو كان فريضة لوجدته في القرآن) [3]، ثم تأتي السنَّة النبوية لتفصل المجمل من القرآن وتفرّع الكليات إلى جزئيات؛ ومثاله ما رواه سعيد بن جبير: ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه في القرآن[4]، ثم يأتي دور العلماء ليزداد العلم تفصيلاً وتتبين فروعه وجزئياته؛ ولهذا قال الإمام الشافعي: (ما تقوله الأُمَّة –أي

(1) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1995م، 72/6.

(2) انظر: الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر/ الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة 1419هـ، 240/1.

(3) الدار قطني، كتاب الطهارة، باب الوضوء من الخارج من البدن، 159/1. وفي كتاب الصيام باب القُبْلة من الصيام، 184/2.

(4) انظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (مرجع سابق)، ص 428.

علماؤها– شرح للسنَّة وجميع ما في السنَّة شرحٌ للقرآن)[1]، مما يؤكد علاقة العلوم بالقرآن بصورة منضبطة.

ومن جهة أخرى نجد أن القرآن العظيم كتاب إلهي شامل قد حوى كل حاجات الإنسان الدنيوية والأخروية، فيشير كثيراً إلى مقاصد تعلق ببعض العلوم لأنها جميعًا جاءت لجلب المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها، فما من مصلحة من مصالح الإنسان إلا وفي القرآن إرشاد إليها وتنبيه عليها.

ومن العلاقات الارتباطية بين العلوم الشرعية واللغة العربية في الدراسات البينية: علم التفسير والذي يحمل الخصائص البينية؛ ويؤكد ذلك الإنتاج المعاصر في علم التفسير؛ ومعالجته لكثير من جوانب علم التربية الإسلامية؛ لأنهما من مجال ثقافي واحد، ويجيب على كثير من ضغوط التساؤلات المعرفية، كما أنه نموذج تطبيقي للتداخل المعرفي بين العلوم، يقول ابن هُمام إنه: (بحث في تداخل العلم ومناهجه، وفي العلاقة بين العلوم، أخذا وعطاء، وقد يمتد ليشمل تاريخ العلم، ونظرية المعرفة)[2].

وهذا تجسيد للدراسات البينية في المجال البحثي الحديث، كونها العلوم التي تبحث في إدراك العلاقات بين فروع العلم والمعرفة على أساس مبدأ وحدة العلوم وتكاملها للوصول إلى مفاهيم مشتركة بين مختلف العلوم والتخصصات[3]، كما أن: (النظريات والمفاهيم والقوانين وأدوات البحث ومناهجه في العلوم الاجتماعية؛ كانت نتيجة للتفاعل والتداخل والتلاقح بين تخصصات هذه العلوم) [4].

ولذا فإن الدراسات البينية تتيح الفرصة للباحثين في علوم الشريعة واللغة للاستفادة من مناهج ونظريات وبناءات العلوم الأخرى، لأنها تتميز بالمرونة المنهجية والنظرية ودراسة الظواهر والقضايا من كافة الجوانب، وتتيح الإبداع في تحرير الإجابات على تساؤلات العلم المعرفية التي تشترك معها في موضوع العلم، وهو الإنسان.

---

(1) انظر: محمد أحمد معبد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بالقاهرة، 1416هـ، 92/1.

(2) انظر: محمد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم، مركز نماء للبحوث والدراسات، د.ط. 2017م، ص15.

(3) انظر: علي، حنان عبد العزيز عبد القوي، تصور مقترح لتطوير البحث العلمي في التربية الإسلامية في ضوء مدخل البحوث البينية، (مرجع سابق)، ص35.

(4) انظر: محمد همام، تداخل المعارف، (مرجع سابق)، ص67.

المطلب الثاني: أثر الدراسات البينية في المستجدات المعاصرة.

إن التطور المتسارع في مختلف العلوم، وما ينتجه الواقع من مستجدات، وما يواكبها من دراسات معاصرة خاصة في العلوم الشرعية لا يستطيع صاحب الاختصاص الواحد في علم من علوم الشريعة كالتفسير أو الفقه أو الأصول ملاحقتها وتقديم الجواب الشافي الكافي، لأنّ المستجدات المعاصرة والمتجددة موضوعات تحتاج مجموعة علومٍ للجواب عنها، فلم يعد موضوع مثل محاربة الأفكار المنحرفة، أو الإلحاد أو غير ذلك، من الموضوعات التي تهمّ الفقيه وحده، أو الداعية وحده، بحيث يعالجها بأدواته الخاصّة، بل صار لعلماء علم النفس وعلم الاجتماع دور رئيس فيها، ، وهكذا بالنسبة للعديد من برامج الدراسات البينية التي استجدت واستحدثت في الآونة الأخيرة كالتخطيط العمراني والطاقات المتجددة والميكانيك الحيوي والمعلوماتية الحيوية ونظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد وعلوم السكان والعلوم الصحية وغيرها من البرامج البينية المفيدة المرتبطة بالعلوم الإسلامية وغيرها من العلوم المختلفة ذات التأثير الإيجابي والمباشر لضرورة التكامل بين العلوم، واستثمار كافة الطاقات لإيجاد معلومة موثقة من كافة الجهات المعنية بمجال محدد، فضلاً عن إثراء سوق العمل وتلبية احتياجاته، وزيادة القدرة التنافسية في اعتماد هذا النمط من البرامج، من خلال مجموعة العلوم ذات الصلة وتكاملها لتكوين رؤى علمية في هذا الصدد، أو وضع رؤى استراتيجيّة لهذه المستجدات.

إن المعرفة البينية ينتج عن خبرة متعدّدة التخصّصات يتم توظيفها في مجالٍ لا يختصّ بواحدٍ منها، والمعرفة البينية في العلوم الدينية ضرورة، حتى لا تغيب العناصر المشتركة بين التخصّصات، وهي حاجة ماسّة لكلّ من يعتبر أنّ الشأن الديني العام حكرٌ على تخصّصه؛ لأنّ الشأن الديني العام لا يقف اليوم عند حدود المسائل الشرعيّة؛ إذ القضايا الدينية العامّة تخطّت حدود التخصص الواحد بكثير، ولهذا السبب تحتاج الأجوبة إلى تشارك وتكامل لتغطية جوانبها العلمية والنفسية والاجتماعية، رغبة في تحقيق الغاية التي من أجلها كان التشريع.

إن المستجدات والنوازل المعاصرة مع احتياجها إلى أهل الاختصاص في العلوم الشرعية، فهي كذلك تحتاج إلى تجديد في الآلة المنهجية التي يصدر عنها، وإن كانت الدراسات البينية في العلوم الشرعية تشهد تطوراً ملحوظًا في مناهج البحث بهدف الوصول إلى الموضوعية والواقعية، ومواكبة التطور التقني والوصول إلى المشترك بين مختلف العلوم، وما يؤسسه البحث البيني للمستجدات المعاصرة من خلال المناهج الحديثة والمعاصرة، سعيًا لتجاوز الذاتية إلى فضاء الموضوعية والواقعية ومواجهة التحديات المعاصرة وسبر أغوارها للحد من المشكلة المعرفّية على مستوى النص والمضمون والمفاهيم وحدود المعرفة ويقينيتها وظنيتها أو استحالتها، وإرساء قواعد القواعد المنهجية للبحث المشترك الذي يعلي من شأن الموضوعية، وفهم الظواهر المتجددة، ومطابقتها لطبيعة موضوعها، وفق الجمع بين الضوابط والمصالح والمقاصد الشرعية المعتبرة، حتى يكون مواكبًا للواقع، ليس غريبًا عنه.

إن الأخذ بإيجابيات مناهج البحث في الدراسات البينية للعلوم الإنسانية بما فيها العلوم الشرعية والاجتماعية والتطبيقية الحديثة والمعاصرة، مع الأخذ بمعطيات مناهج البحث الأصولي لدى أئمة الفقهاء المجتهدين التي أرست قيم المنهجية الصحيحة القائمة على الثابت والمتغير والتي وضعت قواعد العلاقات التكاملية بين النص والفهم والواقع.

لقد أدرك الفقهاء وعلماء العلوم الشرعية منذ وقت مبكر أنَّ العلوم حين ي تتعامل مع الواقع تطور في مناهجها لتصبح أكثر منهجيةً؛ تحمل خاصية التطور، وتنأى بالفكر عن الجمود، وهو ما كان على سبيل المثال: في قواعد الاجتهاد والقياس، مما دفع هذا المنهج الإبداعي المستنير المتسلح بالعلم والمنهج الصحيح فصنع لنا حضارة زاهرة مبرهنًا على السنُّة الكونية التي تربط بين قوة المنهج وسلامة المقصد.

ولقد كان الاجتهاد في الشريعة من خلال فهم الوحي والتعامل معه بأدوات أصول الفقه، كالإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسد الذرائع، وهي مناهج علمية جمعت بين الأصالة والمعاصرة، واكبت التطور بالمحافظة على الثوابت والمسلمات، وأخذت بعوامل السعة والمرونة في المتغيرات، فالقياس مثلًا كان كفيلًا بتوفير الكثير من الحلول الفقهية المعاصرة، كما فعّل العلماء الأخذ بالمصالح والمقاصد في مواكبة التطور الحضاري، وما أنتجه من تعقيدات معاصرة وانفلات فكري واضطراب نفسي ومشكلات متجددة تحتاج إلى سبر أغوار وأعماق النصوص وروحها وكلّياتها وقواعدها، ممّا حدا بالفقهاء أن يراعوا المصالح والمقاصد الضرورات بعقل متفتّح وتفكير علمي، والجمع بين الأصالة والتجديد وإعمال العقل الحصيف في تدبّر النصوص الشرعية مع معايشة حركة الحياة، وتحقيق المهمّة الرئيسة في تعبيد الناس لله بالحسنى لا قهرهم بتوخّي الأشدّ والأحوط في كل شيء.

ويظهر أثر الدراسات البينية في المستجدات المعاصرة في التعاملات الشرعية والمدنية، والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والأدبية والسياسية، والأمثلة أكثر من تذكر هنا، وسوف نورد نماذج لبيان دور الدراسات البينية في تكييف المستجدات المعاصرة لتحقيق مقاصد وغايات الشريعة فيما يستجد من مستجدات معاصرة متى ما تحققت المصلحة فيها، ومن ذلك على سبيل المثال:

- **أثر الدراسات البينية في المسائل المستجدة المعاصرة:** ومن ذلك:
- إثبات رؤية الهلال بالمنظار، إذ أن الأصل في ثبت دخول الشهور الهجرية برؤية الهلال، لقول النبي صلى الله عليه وسلم عن شهر رمضان: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته"[1]، وتتحقق الرؤية سواء بالمنظار أو بالعين المجردة، والمنظار واحدة من مستحدثات العصر التي تزيد اليقين، ولا يتعارض مع الحديث الشريف، مما يحقق مقصد الشريعة في التحقق من الرؤية[2].

---

[1] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ، البخاري، محمد ابن إسماعيل، كتاب الصيام، باب رؤية الهلال، 27/3 برقم 190.

[2] انظر: الزحيلي، وهبة، حكم إجراء العقود بآلات الاتصال الحديثة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، عدد 3 ج2. 1987م، عدد 3 – 47/2.

وقد جمعت الدراسات البينية بين علماء الفقه وعلماء الفلك والحساب، والتقنية الحديثة قديمًا وحديثًا، فيقول القرافي: "حساب الأهلة والخسوف والكسوف قطعي"[1]، وقال القرطبي: "وقد ذهب مطرف بن عبد الله الشخير، وهو من كبار التابعين، وابن قتيبة من اللغويين فقالا: يعول على الحساب عند الغيم بتقدير المنازل واعتبار حسابها في صوم رمضان، حتى إنه لو كان صحوا لرئي، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ"[2] أي: استدلوا عليه بمنازله، وقدروا بمنازله، وقدروا إتمام الشهر لحسابه[3]"، وقال عبد الباقي في تعليقه على صحيح مسلم: أي حال دون رؤيته غيم أو قترة (فاقدروا له) معناه ضيقوا له وقدروه تحت السحاب وقيل قدروه بحساب المنازل[4].

وحديثًا أكدت المجامع الفقهية المعتبرة استعمالُ المراصِدِ الفَلَكِيَّة لرؤيةِ الهلالِ[5]، وقررته هيئات كِبارِ العُلَماءِ[6]، وقررته مَجامَعِ الفقهِ الإسلاميّ[7]، واستدلوا بعمومُ ما جاء عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: "إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ"[8]، ووجه الدلالة :أنَّ هذه الرُّؤيةَ تحصُلُ باستعمالِ المراصِدِ الفَلَكيَّةِ[9].

●**معالجة مستجدات العقود المعاصرة بوسائل التواصل الحديثة.** إذ أن من المعلوم في الفقه الإسلامي أن العقد يتم بحضور المتعاقدين ورضاهما إذا حصل الإيجاب والقبول، ولكن عندما استجدت أمور واستحدثت أجهزة يمكن بواسطتها إجراء العقود عن بعد من خلال الصوت أو الصورة أو النقل المباشر كتابة وصوتًا، مما حدا بالعلماء والفقهاء الجمع بين ضوابط العقد الفقهية والاستفادة من التقنيات المعاصرة والعمل على أن العقد ينعقد بين الغائبين كما في آلات الاتصال الحديثة بمجرد إعلان القبول، ولا يشترط العلم بالقبول بالنسبة للطرف الموجب الذي وجه الإيجاب[10]،وتأكيدًا لإبرامه، وما جرى عليه

---

[1] انظر: ابن دقيق العبد، الإحكام شرح عمدة الأحكام، الناشر: مطبعة السنة المحمدية الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، ٨/٢.

[2] مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب الصيام، بَابُ وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، وَالْفِطْرِ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، وَأَنَّهُ إِذَا غُمَّ فِي أَوَّلِهِ أَوْ آخِرِهِ أُكْمِلَتْ عِدَّةُ الشَّهْرِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، 759/2 برقم 1080.

[3] انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق)، ٢٩٣/٢.

[4] انظر: مسلم، صحيح، فؤاد عبد الباقي، (مرجع سابق)، ص 1080.

[5] انظر: ابن باز، عبد العزيز بن باز، مجموع فتاوى، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر (موافق للمطبوع)، 69/15، العثيمين، محمد بن صالح، مجموع فتاوى ورسائل، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر: دار الوطن، دار الثريا الطبعة: الأخيرة، 1413هـ. ، 36/19.

[6] انظر: أبحاث هيئة كبار العلماء، 46/3.

[7] انظر: قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الثاني، جدة1985م، والدورة الثالثة، عمان 1986م.

[8] متفق عليه: البخاري، (مرجع سابق)، كتاب الصوم، بَابٌ: هَلْ يُقَالُ رَمَضَانُ أَوْ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَمَنْ رَأَى كُلَّهُ وَاسِعًا، 25/3 برقم 1900، وصحيح مسلم، كتاب الصيام، بَابُ وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، وَالْفِطْرِ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، وَأَنَّهُ إِذَا غُمَّ فِي أَوَّلِهِ أَوْ آخِرِهِ أُكْمِلَتْ عِدَّةُ الشَّهْرِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، 760/2 برقم 1081.

[9] انظر: ابن عثيمين، مجموع فتاوى، (مرجع سابق)، 36/19.

[10] انظر: سوار، **وحيد** الدين **سوار**، التعبير عن الإرادة في الفقه الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1979م، ص118، الزحيلي، وهبة، حكم إجراء العقود بآلات الاتصال الحديثة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، عدد 3 ج2. 1987م، ص 669.

العرف الحاضر في التلكس مثلًا ونحوه على إرسال تلكس العرض، ثم تلكس القبول، ثم تلكس البيع، وساعد على ترسيخ هذا العرف ما تنص عليه بعض القوانين المعاصرة[1].

فكان للدراسات البينية بين علماء الفقه وعلماء الاتصال والتقنيات للتثبت وتحقيق الصحة باستعراض الأدلة وصحة العقود بواسطة الأجهزة الحديثة شرط الوضوح والتثبت، وأن التكييف الفقهي للعقد المنقول عن طريق الكتابة، ينقل على مسألة المكاتبة للغائب عن مجلس العقد وهي جائزة عند الجمهور[2]، لحصول التراضي، والتراخي لا يضر بشرط القبول عند بلوغ الكتاب وهذا قول أكثر العلماء، والتكييف الفقهي للمنقول عن طريق النطق، يكيف على مسألة العقد بالمناداة[3]، ويلاحظ أن التكييف جاء محققًا لمقاصد الشرع في إثبات الحقوق بالوسائل المتاحة كتابة أو نطقًا وأن الوسائل الحديثة تحقق الغاية من مقصود الشرع.

- **اعتماد طرائق التقابض في المعاملات المصرفية الحديثة:** والتقابض في الاصطلاح الفقهي حيازة الشيء حقيقة أو حكمًا، فالتمكن باليد يسمي بـ (القبض الحقيقي)، أو بعدم المانع من الاستيلاء عليه وهو ما يسمى بـ (القبض الحُكْمي) [4].

والتقابض أساس مسائله وصوره قائمة على العرف، ولم يرد له معنى محدد في اللغة، فكل ما اعتبره العرف تقابضًا، فهو قبض ما لم يصطدم مع نص ثابت صريح في الشريعة، ولهذا فإن مقتضيات الأعراف ليست حجة على مقتضيات العصر المتغيرة ما دامت أعرافه قد تغيرت، لأن كل ما هو مبني على العرف يتغير بتغيره[5].

للقبض طرائق كثيرة، تنوعت بين القديم والحديث، وفي صورة المستحدثة والمعاصرة، الشيك، الكمبيالة، الشيك السياحي، القيد على الحساب، القيد على الحساب في الصرف، الحوالة المصرفية، قبض أوراق البضائع، قبض أسهم الشركات، وغيرها، ففي موضوع الشيك المصرفي على سبيل المثال لا الحصر: استخدمت الدراسات البينية مع القياس في الفقه، واستدلوا بما روي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، أنه كان يأخذ من قوم بمكة دراهم سفتجة[6]، ثم يكتب لهم بها إلى أخيه مصعب بن الزبير رضي

---

[1] انظر: وهبة الزحيلي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، حكم إجراء العقود بآلات الاتصال الحديثة، (مرجع سابق)، ص 669.

[2] انظر: حاشية ابن عابدين، (مرجع سابق)، 512/4، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي، (ت: 676هـ)، دار الفكر، طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، 167/9، البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمي، د.ت. ونشر الشاملة 2010م، 142/3.

[3] انظر: للنووي، المجموع، (مرجع سابق)، 181/9، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان الطبعة: الثالثة، 1412هـ/ 1991م، 340/3، السيوطي، مصطفى بن سعد بن عبده، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الرحيباني مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (ت1243هـ)، المكتب الإسلامي الطبعة: الثانية، 1415هـ /1994م، 88/3.

[4] انظر: القوانين الفقهية لابن جزي، ص 328، وشرح حدود ابن عرفة، لابن الرصاع، ص344، الربا والمعاملات المصرفية، المترك، ص394، القبض تعريفه وأقسامه وصوره وأحكامها، الثبيتي، 639/1/6، وبحث القبض الحقيقي والحكمي قواعده وتطبيقاته، نزيه حماد مجلة مجمع الفقه الإسلامي بجدة 711/1/6.

[5] انظر: العمر، ناصر، صور التقابض المعاصرة، موقع المسلم، https://almoslim.net/node/179664، ص 32 بتصرف.

[6] السفتجة: هي معاملة مالية يقرض فيها إنسان لآخر في بلد ليوفيه المقترض أو نائبه في بلد آخر، انظر: النووي، أبي زكريا يحي النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق عبد الغني الدقر، طبع دار القلم بدمشق ط1 عام 1408هـ، ص193.

الله عنه بالعراق، فسئل ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك فلم ير به بأساً[1]، فإذا كانت السفتجة تقوم مقام القبض، فالشيك يقوم مقامه من باب أولى[2].

وفي مجال الأسهم سواء كانت أسهم اسمية، أو أسهم للأمر، أو أسهم لحاملها [3]، فنجد أن علماء الفقه وعلماء الاقتصاد استخدما القياس، فاتفقا على أن في الأول نقل قيدها في سجل المساهمين لاسم الآخر، وفي الثاني يكون بالتظهير على التظهير باسم الآخر من قبل المالك السابق، أما النوع الثالث فاستخدما باب سد الذرائع[4]، فقبضها يحصل بتسليم الصك لحامله، وتداولها بالتسليم من يدٍ إلى يد، دون الحاجة للتنازل عنها في سجلات الشركة[5].

ويتبين أن الدراسة البينية في مسألة مستجدة معاصرة أجابت عنها، وجاءت مراعية لمقصد الشرع في حفظ المال، وأن القبض بالوسائل المستحدثة كقبض النقود، وتعد بمثابة النقود لا سيما وهي محاطة بضوابط بواسطتها يمكن حفظ الحق وعدم ضياعه، وهي في نفسها تقوم بوظائف النقود[6].

دور الدراسات البينية في التعامل مع المستجدات المعاصرة للمحافظة على أمن واستقرار المجتمع:

إنّ من الأسس التي لا يختلف عليها، ضرورة توافر الأمن والاستقرار في المجتمعات، وحفظ حياتهم وحقوقهم مع أداء دورهم واجباتهم تجاه مجتمعهم، ودور الدراسات البينية في معالجة المستجدات المعاصرة على أمن واستقرار الأفراد والمجتمعات يحتاج إلى مزيد من مساحة العرض والطرح، ورغبة في الإيجاز سوف نلقي الضوء على بعض النماذج لبيان الأثر الفاعل للدراسات البينية على تحقيق الأمن والسلام المجتمعي في مختلف جوانب الحياة للأفراد والمجتمعات، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

1) **سلامة الفكر والعقل:** إنَّ المشكلة الرئيسة تكمن في توهم أصحاب الفكر التقليدي أو مدّعي التناقض بين النصوص والمصالح أو المقاصد، والانقسامات بين الحرفية والغائية، إلا أن المطلع على مستجدات العصر وتعامل العلماء والفقهاء معها على مرّ العصور وفق مقاصدها الشرعية، يجد أنه من

---

[1] البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، وبذيله الجوهر النقي لعلاء الدين علي التركماني باب ما جاء في السفاتج 352/5 حديث رقم 11266، وانظر: الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل إشراف: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة: الثانية 1405هـ/ 1985م، 328/5.

[2] انظر: الخثلان، سعد بن تركي الخثلان، أحكام الأوراق التجارية، الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، 1900م، ص289.

[3] انظر: الخليل، أحمد بن محمد الخليل، الأسهم والسندات، الناشر، دار ابن الجوزي، سنة النشر: 1424هـ، ص 52_54، شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية، المكتبة الوقفية، الرياض، 1427هـ، ص 200.

[4] انظر: أحمد الخليل الأسهم والسندات، (مرجع سابق)، ص 177.

[5] انظر: الثبيتي، سعود بن مسعد، القبض تعريفه وأقسامه وصوره وأحكامها بمجلة مجمع الفقه الإسلامي بجدة 639/1/6، 661/1/6.

[6] انظر: الفرفور، محمد عبد اللطيف الفرفور، أبحاث في الاقتصاد المعاصر، دمشق، دار المعرفة، ط1، 1991م، ص141، وقرارات المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، ص99، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 26.

الإنصاف أن العلماء اعتنوا بالمستجدات وجعلوا لها أولوية النظر، لتعلقها بواقع الناس في المعاش والمآل، ودورها الجوهري في حفظ الأمن للأفراد والمجتمعات[1].

كما أن الدراسات البينية أسهمت بفاعلية في تحقيق ضبط الفتوى، والحد من الفتاوى الغريبة والعجيبة، كما ساهمت الدراسات البينية في تحقيق الاعتدال والتوازن في الأحكام المستجدة وعدم الاضطراب، كما ساهمت في الحماية من ظاهرة الحرفية والظاهرية المفرطة والغلو في فهم النصوص، وسد الباب على المتطفِّلين، وطوائف التشدد والغلو في هذا العصْر، وساعدت العلماء المختصين في سد الفجوة في دراسة المستجدات المعاصرة وأصحاب المناهج المتجمدة.

1) **ومن الناحية العلمية:** فإن الدراسات البينية للمستجدات المعاصرة يظهر جليًا في الأثر العلمي، وذلك في جوانب عدة، نذكر منها: أكدت على فتح أبواب الاجتهاد التي لا غنى عنها على مرِّ الزمان، الأثر البليغ الذي تؤصله إجابات العلماء في أكثر من تخصص تعضد بعضها بعضًا وتأصيلها العلمي، واستدلالاتها الشرعية، لتكون سجلاً متجددًا لتطور العلوم، وعنوان صريح لصلاحية الفقه والدين الإسلامي لكل زمان ومكان، وهو دعوة صادقة للاجتهاد والنظر واستفراغ الوسع والنهوض بالأمة.

2) **ومن الناحية الاجتماعية:** فإن الدراسات البينية في المستجدات المعاصرة أعطى كثير من الإشارات الدالة على الواقع، مما يساعد العلماء على دراسة احتياجاتهم ودراستها، واستنباط الظواهر الاجتماعية واستنتاج إفادات واقعية حول مدى تأثيراتها على حياة الناس، لاستخلاص أنجع الحلول الشرعية دون التخلي عن مبادئهم وهويتهم الدينية أو القومية.

3) **ومن الناحية الأدبية:** فإن الدراسات البينية للمستجدات يسهم في رصد التطور الأدبي في تدوين الصياغة الجديدة للإجابة على أسئلة المستجدات، واستدلالاتها العقلية والنقلية والاجتهادات الفكرية، التي تعزز لغة الفقه المعاصر ولغة الفقهاء الأدبية التي تتفرّد بها، وتؤكد على احترام الدليل العقلي والنقلي وبيان الحجة، بعيدًا عن الأهواء والانتماءات الفكرية أو المذهبية، وحرص أهل العلم المخلصين على بيان الحق، بعيدا عن الانتصار للرأي أو المذهب.

4) **ومن الناحية التاريخية:** فإن الدراسات البينة للمستجدات المعاصرة توثق أحداث تلك المستجدات، فتعرف ملابستها وظروفها ومدى ملاءمتها لواقع الأمم حال حدوثها، كما تؤصل للجوانب الإنسانية والقيم الحضارية في تعاون العلماء وما يلزم من اجتهاد جديد يجيب عن المستجدات والشدائد أو النوازل، والاستفادة منها حين النظر في المستجدات المماثلة أو المتشابهة في عصورها المتتالية.

5) **ومن الناحية الاقتصادية:** فإن الدراسات البينة للمستجدات المعاصرة تسهم في إيضاح الحالة الاقتصادية، والإجابة عن الاستفسارات والأسئلة ومواجهة المشكلات التي يطرحها الواقع الذي يحيط

---

[1] انظر: مجموعة من الباحثين، الضوابط الشرعية لبحث القضايا المعاصرة في الرسائل العلمية، بحث مقدم لمؤتمر الدراسات العليا ودورها في خدمة المجتمع، والمنعقد بتاريخ 2011/4/19 في الجامعة الإسلامية، غزة، دت، دط.، ص7.

بالجانب الاقتصادي في المجتمعات التي تحتاج إلى فقه واجتهاد في مستجداتها ونوازلها وواقعها المتجدد، مما يحقق مقاصد المال في الإسلام من حيثُ الوجود والبقاء، مع الحفظ والتنمية وحمايته من الفساد، والحفاظ على مقدرات البلاد والإسهام في تنمية الأفراد والمجتمعات.

6) **ومن الناحية السياسية:** فإن الدراسات البينة للمستجدات المعاصرة تسهم في بيان الصورة الواقعية التي تمس المجتمع سلمًا أو حربًا، مما يساعد المختصين في فهم الواقع ودراسته، ويعينهم على في فهم كثير من الأحداث وتأثيراتها على واقع المجتمعات، وفق مرجعية شرعية منضبطة مع الواقع المعاصر.

وأخيرًا: فإن الآثار والفوائد من الدراسات البينية في العلوم الشرعية حال النظر في المستجدات المعاصرة، فكريًا، ودينيًا، وعلميًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، وأدبيًا، وسياسيًا، وتاريخيًا، أكثر من تحصر هنا في هذا الإيجاز، فما زال هناك الكثير من الفوائد التي يمكن رصدها واستثمارها، إلا أنَّ ضيق المساحة الممنوحة لنا تحول دون ذلك ولعل ذلك يأتي تفصيله في دراسة موسعة بعون الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين.

خاتمة:

إن الدراسات البينية تسعى إلى الأخذ بإيجابيات مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية الحديثة والمعاصرة، خاصة في دراسة المستجدات المعاصرة، كما أنها تأخذ بمعطيات مناهج البحث الأصولي لدى أئمة الفقهاء المجتهدين السابقين التي أرست قيم المنهجية العلمية القائمة على الثابت والمتغير والتي وضعت نصب أعينها العلاقة الجدلية بين النص والفهم والواقع فأدركت في زمن مبكر أن العلم حين يُغيّر ويطور في مناهجه يصبح أكثر منهجيةً؛ والمنهج الصحيح هو الذي يحمل في ذاته "خاصية التطور" لينأى بالفكر عن الجمود، ويدفع العقول إلى الأمام ليصنع حضارة متجددة.

إنّ الدراسات البينة بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم قد أكدت على أن الطبيعة التقليدية للبنى التنظيمية والثقافة السائدة في البحث العلمي على مدى العصور الفائتة شكلت عائقًا أمام بلوغ المبادرات البينية في تجديد البحث العلمي وتحقيق أهدافه المرجوة، وأن الدراسات البينية الحديثة أثبتت فاعليتها وفائدتها، وعالجت النزعة الفردية لدى بعض الأكاديميين، وفي المقابل أغنت القدرات البحثية في العلوم الشرعية وتكاملها مع باقي العلوم الأخرى.

إنّ الدراسات البينة بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم عند دراسة المستجدات المعاصرة برهنت على أن العلوم الشرعية والفقه بأصوله، وقواعده، لم يقف يومًا عاجزًا ولا متجمدًا في مواجهة تطورات الحياة ومستجداتها، وأنَّ الأخذ بظاهر النصوص لا يعني عدم العدول عن ظاهرها إلا بقرائن ملزمة، لما للنصوص من مقاصد شرعية يجب مراعاتها عند النظر في المستجدات المعاصرة من أهل الاختصاص.

إنّ الدراسات البينة بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم برهنت على أنَّ تعدد مناهج النظر في المستجدات المعاصرة، بين التشديد والتيسير، والسلف والخلف، والظاهرية والنصية، لا يعني جمود الشريعة في مواكبة التطورات المعاصرة والنظر فيها بما يحقق مصالح العباد والبلاد.

إنّ الدراسات البينة بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم تبرهن على أن التجديد من خلال النظر في المستجدات المعاصرة على مرِّ الزمان، ليس بدعة ولا نقصًا في مضامين الشريعة، ولكنه يعني النظر إلى ما وراء الأحكام من مصالح وعلل وحكم ومقاصد يمكن استنباطها من تضافر التخصصات والعلوم المختلفة.

إنّ الدراسات البينة بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم يربط الجزئيات بالكليات، والفروع بالأصول والأحكام بالمقاصد والغايات، وهو المنهج الوسطي المعتدل المنشود بين غلاة الظاهرية، وغلاة أهل التأويل، فراعت معاني النصوص والأدلة وراعت شروطها وضوابطها، فابتعدت عن الشذوذ في منهج الاجتهاد الأصيل.

إنّ الدراسات البينة بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم لها آثار مباشرة على أمن واستقرار البلاد والعباد ورعاية مصالحهم في دينهم ودنياهم، في شتى مجالات الحياة الدينية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأدبية، والسياسية، والنفسية.

والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع والمصادر.

1) ابن الرصاع، لأبي عبدالله محمد بن الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، تحقيق محمد أو الأجفان والطاهر المعموري، طبع دار الغرب الإسلامي ببيروت ط1 عام 1993م.
2) ابن باز، عبد العزيز بن باز، مجموع فتاوى، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر (موافق للمطبوع).
3) ابن جزي، لمحمد بن أحمد بن جزي المالكي، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تحقيق أ.د/محمد سيدي مولاي، طبع دار النفائس ببيروت ط1 عام 1425هـ.
4) ابن دقيق العبد، الإحكام شرح عمدة الأحكام، الناشر: مطبعة السنة المحمدية الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
5) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، دراسة وتحقيق دكتور محمد عمارة ط3/ دار المعارف د.ت.
6) ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت 1252هـ) حاشية ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، الناشر: دار الفكر–بيروت الطبعة: الثانية، 1412هـ/1992م.
7) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، سنة 1997م.
8) ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ، 1991م.
9) ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، 1420هـ/1999م.
10) الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل إشراف: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة: الثانية 1405هـ/ 1985م.
11) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، 1415هـ.
12) الأنجري، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر/ الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، الطبعة 1419هـ
13) البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمي، د.ت. ونشر الشاملة 2010م.
14) الثبيتي، سعود بن مسعد، القبض تعريفه وأقسامه وصوره وأحكامها بمجلة مجمع الفقه الإسلامي بجدة 639/1/6.
15) الجماعيلي، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (ت 682هـ)، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع.
16) الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، د.ت.
17) حماد، نزيه، القبض الحقيقي والحكمي قواعده وتطبيقاته، مجلة مجمع الفقه الإسلامي بجدة 711/1/6.جامعة أم القرى.
18) الخثلان، سعد بن تركي الخثلان، أحكام الأوراق التجارية، الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، 1900م.
19) الخليل، أحمد بن محمد الخليل، الأسهم والسندات، الناشر، دار ابن الجوزي، سنة النشر: 1424هـ.
20) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405هـ / 1985م.
21) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، التفسير والمفسرون، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، ط/ مؤسسة الرسالة (د.ت)
22) الزحيلي، وهبة، حكم إجراء العقود بآلات الاتصال الحديثة، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، عدد 3 ج2. 1987م.
23) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1/ 1376هـ/ 1957م.
24) سوار، وحيد الدين سوار، التعبير عن الإرادة في الفقه الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1979م.
25) سولسو، روبرت، علم النفس المعرفي، ترجمة: محمد الصبوة، مصطفى كامل، محمد الدق، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠م.
26) السيوطي، مصطفى بن سعد بن عبده، مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، الرحيباني مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (ت1243هـ)، المكتب الإسلامي الطبعة: الثانية، 1415هـ /1994م.
27) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، (ت 790هـ)، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.
28) شبير، محمد عثمان، المعاملات المالية، المكتبة الوقفية، الرياض، 1427هـ.
29) الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم (دت)

30) الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415هـ/ 1995م.
31) طنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن الكريم، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1350هـ.
32) عبد العزيز، جمال الدين، علاقة العلوم بالقرآن، ملتقى أهل التفسير، https://vb.tafsir.net/tafsir18514
33) العثيمين، محمد بن صالح، مجموع فتاوى ورسائل، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان الناشر: دار الوطن، دار الثريا الطبعة: الأخيرة، 1413هـ.
34) علي، حنان عبد العزيز عبد القوي، تصور مقترح لتطوير البحث العلمي في التربية الإسلامية في ضوء مدخل البحوث البينية، جامعة عين شمس،2011م.
35) العمر، ناصر، صور التقابض المعاصرة، موقع المسلم، https://almoslim.net/node/179664
36) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، جواهر القرآن، تحقيق الدكتور الشيخ محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم، بيروت ط/2/ 1406 هـ/ 1986م.
37) الفرفور، محمد عبد اللطيف الفرفور، أبحاث في الاقتصاد المعاصر، دمشق، دار المعرفة، ط1، 1991م.
38) قرارات المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي، مجلة مجمع الفقه الإسلامي بجدة 639/1/6.
39) قرارات مجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة الثاني، جدة1985م، والدورة الثالثة، عمان 1986م.
40) القرطبي، الحافظ، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي، الإحكام في أصول الأحكام، ط1. 1433هـ /2012م.
41) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق هشام سمير البخاري، ط/ دار عالم الكتب، الرياض، سنة 1423 هـ/ 2003م.
42) المترك، عمر بن عبد العزيز، الربا والمعاملات المصرفية، باعتناء الشيخ بكر أبو زيد، طبع دار العاصمة بالرياض ط2 عام 1417هـ،
43) مجلة البحوث الإسلامية. العدد 35، 1428هـ.
44) مجموعة من الباحثين، الضوابط الشرعية لبحث القضايا المعاصرة في الرسائل العلمية، بحث مقدم لمؤتمر الدراسات العليا ودورها في خدمة المجتمع، والمنعقد بتاريخ 2011/4/19 في الجامعة الإسلامية، غزة، دت، دط.
45) محمد همام، تداخل المعارف ونهاية التخصص في الفكر الإسلامي العربي: دراسة في العلاقات بين العلوم، مركز نماء للبحوث والدراسات، د.ط. 2017م.
46) معبد، محمد أحمد، نفحات من علوم القرآن، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بالقاهرة، 1416هـ.
47) نجيب عبد الواحد، المنهج التخصصي للعلوم تزاوج الاختصاصات، ثراء معرفي ومهني، https://najibabdulwahed.com6
48) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت 676هـ)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان الطبعة: الثالثة، 1412هـ/ 1991م.
49) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب مع تكملة السبكي والمطيعي، (ت: 676هـ)، دار الفكر، طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي، ترقيم الكتاب موافق للمطبوع.
50) النووي، أبي زكريا يحي النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق عبد الغني الدقر، طبع دار القلم بدمشق ط1 عام 1408هـ.
51) هيئة كبار العلماء، أبحاث هيئة كبار العلماء، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط4/ 1435هـ.

فهرس الموضوعات:

م	الموضوع	الصفحة
1.	توطئة.	2
2.	المبحث الأول: الدراسات البينية وأهميتها المعرفية في إثراء الثقافة.	4
3.	المطلب الأول: أهمية الدراسة البينية في اللغة العربية.	5
4.	المطلب الثاني. الدور المعرفي للعلاقة البينية بين اللغة العربية والعلوم الأخرى.	6
5.	المبحث الثاني: الدراسات البينة في اللغة العربية والعلوم الشرعية.	9
6.	المطلب الأول: دور الدراسات البينية في إثراء العلوم الشرعية.	9
7.	تكاملية العلاقة بين العلوم الشرعية وغيرها من العلوم الأخرى في الدراسات البينية.	12
8.	الدراسات البينة في العلوم الإسلامية والعربية.	12
9.	المطلب الثاني: أثر الدراسات البينية في المستجدات المعاصرة.	15
10.	أثر الدراسات البينية في المسائل المستجدة المعاصرة.	16
11.	دور الدراسات البينية في التعامل مع المستجدات المعاصرة للمحافظة على أمن واستقرار المجتمع.	19
12.	الخاتمة.	22
13.	فهرس المراجع والمصادر.	23
14.	فهرس الموضوعات	26